

دور الأمير عبد القادر في بناء الدولة الجزائرية الحديثة

. الجانب القضائي والتعليمي .نموذجا.

**Le rôle du l'Emire Abdelkader dans la construction de  
l'État algérien moderne**

**L'aspect judiciaire et l'éducation sont un modèle**

د. بن حميد فتية<sup>1</sup>

<sup>1</sup> جامعة الجزائر2، fathia.bm@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2024/01/21 تاريخ القبول: 2024/01/26 تاريخ النشر: 2024/01/28

### ملخص:

بنهاية الحكم العثماني بالجزائر ووقوعها تحت ربة الاستعمار الفرنسي، أخذت زعامات وطنية على عاتقها مسؤولية استمرار الدولة الجزائرية وبعث الروح الوطنية والحرص على استمرارها، ويعد الأمير عبد القادر أحد أهم هذه الزعامات فقد أظهر حنكة وعبقرية منقطعة النظير في بناء الدولة في مختلف تجلياتها سواء العسكرية والسياسية والاقتصادية القضائية والاجتماعية، فقد وضع الأمير الأسس الأولى لبناء دولة جزائرية محدثة ومعاصرة دولة جمعت بين الإسلام ومتطلبات العصر

كلمات مفتاحية: الأمير عبد القادر، الدولة، الجزائر، القضاء، التعليم.

### Abstract.

Avec la fin de la domination ottomane en Alegerie et sa chute sous le cou du colonialisme Français, les dirigeants lationaux ont pris la responsabilité de poursuit l'état algérien et ont pris la responsamité de poursuit l'état algerien et de ressusciter l'esprit national et d'assurer sa continuation. Prince Abdelkader est l'une des plus importants de ces dirigeants, le prince a fait preuve d'une habileté inégalée et le génie dans la

construction de l'état dans ses diverses manifestation, qu'il s'agisse militaire, politique, economique, judiciaire et sociale, le prince Abdelkadera jeté le premières bases da la construction d'une état algérien actualisé et contemporain, un état qui a combiné m'islam avec les exigences de l'é poque

Keywords: l'Emire Abde El Kader, État , Algérie, Justice, éducation

---

**\*المؤلف المرسل: بن حميد فتحي**

**1. مقدمة**

بتوقيع الداي حسين معاهدة الاستسلام مع دي بورمون في 5 جويلية 1830م، انتهت سيادة الجزائر التي دامت قرون طويلة، ورضخت تحت ربة الاستعمار. غير أن نجاح الحملة والاحتلال لم يثبط عزيمة زعامات وطنية أخذت على عاتقها مهمة التصدي للاستعمار وإعادة بعث الدولة الجزائرية. من تلك الزعامات اخترنا في دراستنا الأمير عبد القادر الذي تزعم المقاومة في الغرب الجزائري زهاء 15 سنة (1832. 1847)، وأرسى قواعد دولة اسلامية حديثة بجميع الميادين السياسية والادارية والعسكرية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، دون اغفال لأي جانب. وفي بناء الدولة الجزائرية للأمير عبد القادر خصصنا جانبين هامين في تطور الدول والأمم، وهما الجانب القضائي والتعليم، فقد أرسى الأمير قاعدة قضائية أساسها العدل والمساواة بين الجميع، حتى ساد الأمن والهدوء أرجاء دولته، ومن جهة ثانية لم يتغافل عن التعليم بالرغم من ظروف الحرب، الأمر الذي يعكس تكوين الأمير وثقافته وحنكته ونباهته في ارساء دعائم دولة قوية قادرة على الوقوف في وجه الاستعمار.

وعليه فإن اشكالية هذه الدراسة تتمحور حول جهود الأمير عبد القادر في تنظيم الدولة الجزائرية الحديثة من ناحيتي التعليم والقضاء، بعرض أهم

## دور الأمير عبد القادر في بناء الدولة الجزائرية الحديثة. . الجانب القضائي

### والتعليمي. نموذجاً:

الاجراءات التي اتخذها لاصلاح هذين القطاعين وتطويرهما بما ينفع الصالح العام، ويضمن تحقيق الاستقلال ثم الوصول بالدولة الجزائرية الى مصاف القوى الكبرى

### 2. جهود الأمير عبد القادر في بناء الدولة الجزائرية الحديثة:

بعدما استمد الأمير عبد القادر الشرعية بمبايعته تحت شجرة الدردار في 21 نوفمبر 1832م ( تشرشل، 2009، ص82) اثر اجتماع أعيان الغرب بسهل غريس، فبيوع على السمع والطاعة وفق مبادئ الشريعة الإسلامية (الجزائري، 1903، ص99)، ثم ببيع البيعة العامة في 4 فبراير 1833م بساحة مسجد معسكر بحضور أعيان وكبار المنطقة الغربية من معسكر وقلعة هواره وأحوازها كقبائل غريس وصبيح والمكاحلة والبرجية ومجاهر وبني شقران وغيرها. (حرب، 2005، ص88)

وبعد أن استمد الشرعية لحكم الدولة وقيادة المقاومة في المنطقة، ولانجاح المقاومة في طرد المستعمر، خم أخذ الامير عبد القادر في تنظيم الحكومة فاستكتب ابن عمه السيج أحمد بن علي أبي طالب، وعين محمد بن العربي وزيرا للداخلية والحاج مصطفى بن تهامي رئيسا لديوان الإنشاء، وعين على الحجابة محمد بن علي الرحاوي، وولى الحاج الجيلالي ابن فريجة ناظرا على الخزينة الملكية، ومحمد بن فاخة ناظرا على الخ زينة الخاصة، والحاج الطاهر بن أبي زايد ناظرا على الأوقاف، وولى جباية الزكاة والعشور للحاج الجيلالي العلوي، والحاج أحمد الهاشحي المراجي قاضي القضاة، وعهد وزارة الشؤون الخارجية للحاج ميلود بن عراش، ثم رتب مجلس الشورى مكون من 11 عضوا ويضم كبار علماء الإمارة. (الجزائري، 1903، ص104)

### بن حميد فتحيه

تمكن الأمير عبد القادر من هيكله دولته في مختلف نواحيها السياسية والادارية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية والقضائية، لضرورة تنظيم هذه الهياكل لبناء دولة قوية قادرا بها على تحدي الاستعمار الفرنسي المتفوق عسكريا وطرده من البلاد.

سنركز في هذا المقال على تنظيم الأمير عبد القادر لدولته على الجانب القضائي والتعليمي لمجموعة من الاعتبارات أهمها:

✓ اهتمام معظم الباحثين بالجانب العسكري والاداري في تنظيم دولة الأمير عبد القادر، في حين هذان الجانبان لم يؤخذا حقهما من البحث والدراسة.

✓ ضرورة انجاح المنظومة التعليمية وهيكله نظام قضائي أساسه العدل لبناء أي دولة قوية.

✓ اظهار عبقرية الأمير عبد القادر في تنظيم شؤون دولته لاسيما مع اهتمامه بجميع الجوانب دون اغفال أو إهمال لجانب، لاسيما كشف الستار عن تيقنه بضرورة الاهتمام بالتربية والتعليم لبناء مجتمع واع قادر على مواجهة الاستعمار..

### 3. الجانب القضائي:

#### 1.3 التنظيم القضائي:

تولى السلطة القضائية في دولة الأمير عبد القادر مجلس الشورى (حرب، ج2، 2005، ص44)، وتميز هذا النظام بالدقة والنظام، فقد سعى الأمير لتعميم العدالة للجميع، (الجزائري، 1903، ص309) وقد بلغت درجة اهتمام الأمير بنشره لدرجة عمل على نشر البراهين في الأسواق ومواطن القبائل ليعلنوا للناس ضرورة رفع المظالم قائلا: "أن من له شكوى على خليفة أو آغا أو قائد أو شيخ فليرفعها الى الديوان من غير واسطة فإن الأمير ينصفه من ظالمه وإن ظلم أحد ولم يرفع مظلّمته الى الأمير فلا يلوم إلا نفسه. (سعيدوني، 2001، ص

دور الأمير عبد القادر في بناء الدولة الجزائرية الحديثة. . الجانب القضائي  
والتعليمي. نموذجاً:

ص214، 215) وكان مقر السلطة القضائية في مدينة معسكر ويمثلها قاضي  
القضاة السيد أحمد بن الهاشمي المراجي (حرب، ج2، 2005، ص44).

فقد كان الأمير عبد القادر مدفوعاً ومتأثراً بالسلف الصالح ومحتدياً  
بالخليفة عمر بن الخطاب، وهو ما أكدته في بيتين شعريين:

وقد سرت فيهم سيرت عمرية وأسقيت ظامها الهداية فارتوى  
\* وإني أرجو أن أكون أنا الذي ينير الديباجي بامتنا بعدما لوى. (بوعزيز،  
1983، ص216)

فرض الأمير عبد القادر على خلفائه من العلماء والفقهاء العلم والنزاهة،  
ووزعهم على مختلف المقاطعات الإدارية لتولي مهمة الافتاء في الدعاوي والفصل  
بين المتخاصمين على مذهب الإمام مالك، ملحقاً بكل مجلس اقليبي كاتبان،  
مهمة الأكبر منهما دراسة الفتاوي الصادرة عن القاضي، فيبت بالثانوية ويحيل  
الأساسية الى معسكر للحكم فيها (قداش، ص78).

ويتم اختيار القاضي بناء على مقاييس كثيرة كالكفاءة بالنجاح في  
الاختبارات الفقهية والأخلاق الحسنة، ويعين لمدة سنة واحدة قابلة للتجديد،  
وفي حال ارتكابه لأي خطأ يحق للخليفة عزله، (حرب، ج2، 2005، ص45)  
ف نجد أن الأمير عبد القادر قام بعزل قائد تاقدمت لانه تسلم أربعين دولاراً رشوة  
من أحد المتخاصمين، (سعيدوني، النظام الضريبي، 1983، ص87)  
وخصص للقاضي مرتب قدره 10 درو (50 فرنك) في الشهر إضافة للحصول على  
بعض المكافآت عند البث في بعض القضايا. (ايتين، 1997، ص168)

أ. أنواع القضاء:

انقسم القضاء في دولة الأمير عبد القادر الى القضاء المدني والقضاء  
الجنائي.

• **القضاء المدني:**

يتولى شؤونه القضاة الشرعيون، وقد انحصر في عهد الأمير عبد القادر في القضايا المتعلقة بشؤون الأملاك العقارية والأحوال الشخصية والميراث، يعينهم الأمير عبد القادر أو خلفاء المقاطعات عن طريق مجالس الشورى لكل مقاطعة وبدورها تخضع لمجلس الشورى الأعلى للدولة (دوحة، 2019، ص282)..

• **القضاء الجنائي:**

أما القسم الثاني فهو القضاء الجنائي ويتولاه الخلفاء والأغوات والقياد بمساعدة الشيوخ، ويقوم بمهمة التطرف فيه أعيان الدولة حسب السلم الإداري وهم الخليفة في المقاطعة والآغا في الدائرة والقائد في القبيلة والشيخ بمساعدة القائد في العشائر، (دوحة، 2019، ص282) أما القضاء الجنائي المخصص لمسألة المظالم فكانت من مهام الأمير عبد القادر وحده، فكان يفصل بنفسه في المظالم المرفوعة في شكل محكمة عليا، ولا يفلت من الحكم أي شخص مهما كانت وظيفته أو رتبته. (تشرشل، 2009، ص91)

ب. **شكل الأحكام القضائية:**

كانت القرارات في الأحكام الخاصة بالجرائم لا رجعة فيها سواء الجدل أو السجن أو الاعدام، أما القضايا المدنية فتحال الى العلماء والفقهاء والعدول ووفق القانون المحلي أو المذهب المالكي، (ايتين، 1997، ص169) ومن الأمثلة على بعض الأحكام القضائية:

• **جريمة الخيانة العظمى:**

أرسي الأمير عبد القادر المسؤولية الجنائية لوزارته ومفوضي الدولة أثناء ممارسة مهامه، فكانت التجارة مع العدو أو مساعدته بأي شكل من الأشكال خيانة عظمى لأنها افشال لسياسة الأمير الجهادية، حيث يقول: "إن شريعتنا صريحة في أن كل

دور الأمير عبد القادر في بناء الدولة الجزائرية الحديثة. . الجانب القضائي

والتعليمي. نموذجاً:

من أعان العدو ببضائعه فقد أحل بضائعه، وكل من أعانه بسلاحه فقد أحله  
يحياته". (تشرشل، 2009، ص 201)

• حد السرقة:

طبق الأمير عبد القادر على جريمة السرقة حد قطع اليد امتثالاً لقوله تعالى: "والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا" (سورة المائدة، الآية 38)، وهو ما أكدته قائلاً: "إن الأتراك ينفذون أحكامهم على أساس الهوى فإنني لا أسمح بتنفيذ حكم إلا بما يرضي شرع الله". (جعيد، فرنانة، 2016، ص 154)

• حكم الإعدام:

وقد كان أول من دفع حياته ثمناً لخيانته السيد المدني عديل قاضي أرزيو، إذ بعث إلى الحامية الفرنسية بقطع معتبر من الغنم والجياد، فأخذ هو ورجاله المشتركين في الخيانة إلى مدينة معسكر وحوكموا هناك وصدرت عليهم أحكام بالإعدام ونفذ الحكم سريعاً (دوحة، 2019، ص 282).

ساد الأمن والهدوء في جميع أرجاء دولة الأمير عبد القادر بفضل التنظيم القضائي، فاختفى الغش في الأسواق بعد أن شاع النهب والسلب، وسرقة الخيول، بل أصبحت المرأة تستطيع أن تخرج وحدها دون أن تخاف الإهانة، (تشرشل، 2009، ص 201) وهو ما أكدته الأمير قائلاً: "وبفضل المسؤولية التي حملتها القبائل على الجرائم والسرقات التي ترتكب في مناطقها، فإن الطرق أصبحت آمنة تماماً، وكانت يقظة الشرطة قد جعلت الناس آمنين... وأصبحت المرأة تستطيع أن تخرج وحدها دون أن تخاف الإهانة، وعندما يعلق الناس على هذه النتيجة الكبيرة ويطلبون السبب كان العرب يجيبون أن

مصائد السلطان منصوبة وليس هناك حاجة لنصب مصائدنا الخاصة" (تشرشل، 2009، ص201)

ج. القضاء العسكري:

أشرف عليه بن عب بن مصطفى المشرفي على القضاء العسكري بمدينة معسكر، وعين في كل كتية قاض يساعده مسؤولان في اصدار الاحكام وتنفيذها، أحدهما آمر مخفر الشرطة العسكرية. (حرب، ج2، 2005، ص46)

ويتألف القضاء العسكري من ثلاث(3) أجهزة ادارية تتمثل في مجلس الشورى والمحكمة لعسكرية الدائمة والمحاكم الفرعية، اذ يتألف مجلس الشورى من 11 عالما، تتجسد مهامه في سن القوانين ومراجعة القضايا الصادرة عن المحكمة العسكرية الدائمة في المجال العسكري والمحكمة المدنية في المجال المدني. (دحو، ص284)

مثل القرآن الكريم المرجع الأساسي للقضاة المدنيين والعسكريين، ينتخبون لسنة واحدة قابلة للتجديد مرات عديدة، وانحصرت صلاحيات هؤلاء القضاة بالقضايا المتعلقة بالأمور الشخصية، ويطعن بأحكامهم أمام مجلس الشورى بمدينة معسكر (تشرشل، 2009، ص201).

#### 04. الجانب التعليمي:

##### 4.1. خلفية اهتمام الأمير عبد القادر بالتعليم:

يرجع اهتمام الأمير عبد القادر بالتعليم أثناء تنظيم دولته لمجموعة من الاعتبارات أهمها:

✓ ادراك الأمير عبد القادر بضرورة تلويح القومي في أوساط الشعب لانجاح مقاومته في طرد المستعمر، من خلال تكوين نخبة وطنية واعية بمخاطر السياسة الاستعمارية الفرنسية على جميع الأصعدة. (بوعزيز، الأمير عبد القادر، 1983، ص140)



دور الأمير عبد القادر في بناء الدولة الجزائرية الحديثة. . الجانب القضائي

#### والتعليمي. نموذجاً:

✓ عراقة عائلة الأمير عبد القادر وتقديرها للعلم والعلماء، فوالده الشيخ محي الدين كان شيخ زاوية ومقدم للدروس في الدين والتشريع، فمن البديهي أن يرث الأمير عن والده صفاته ويحمل مشعل عائلته. (بن داود، 2014، ص 273)

✓ ولوع الأمير عبد القادر بالعلم وتكوينه الجاد على يد نخبة من كبار العلماء والفقهاء كوالده واستاذة أحمد بن طاهر. (بن داود، 2014، ص 273).

#### **2.4. جهود الأمير عبد القادر في تشجيع العلم:**

أولى الأمير عبد القادر اهتماماً بالغاً للتربية والتعليم أثناء تنظيم دولته، فحرص على تنظيم التعليم وتشجيع الطلبة على تحصيل العلم من خلال تعميمه على القبائل يفتح المدارس لتعليم الأطفال الصلاة والعبادات وتحفيظ القرآن الكريم، وسعياً لانجاح مسعاه خصص مكافآت مغرية للطلبة بتقديم امتيازات خاصة بهم، (تشرشل، 2009، ص 200) من بينها:

✓ تخصيص رواتب خاصة لهم على حسب درجاتهم العلمية. إضافة الى اعفاءهم من الضرائب. (سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر، 2001، ص 138)

✓ العفو عنهم في حالة ارتكابهم جرائم وحكم عليهم بالاعدام (تشرشل، ص 200).

✓ اصدار أوامر باحترامهم واستثنائهم من جميع الخدمات.

✓ اكرام النجباء منهم بعد امتحانهم في المجال المتخصصين فيه والاعراض عن المتهاونين فيه. (بن داود، 2014، ص 279)

واذا كان الأمير عبد القادر قد أولى اهتماماً بالعلوم الشرعية فإنه لم يغفل عن أهمية العلوم العقلية إذ يقول: "لا غنى بالعقل عن العلوم الشرعية ولا غنى بها عن العقل والذي يدعو الناس الى النقل المحض مع عزل العقل جاهلاً والمكتفي بمجرد العقل عن العلوم الشرعية ومغرور، فإياكم أن تكونوا مع

أحد الفريقين وكونوا جامعين بينهما فإن العلوم العقلية كالأغذية والعلوم الشرعية كأدوية" (بساعد، 2005، ص320)

إن سعي الأمير عبد القادر للإهتمام بالعلوم الشرعية والعقلية معا يهدف به الى تحقيق:

✓ الحفاظ على مقومات الهوية الجزائرية الاسلامية والتراث العربي الإسلامي.  
✓ الحفاظ على التماسك الاجتماعي بين الجزائريين لمواصلة الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي.

✓ ترسيخ القيم الإسلامية والوطنية لدى الشباب الجزائري.  
✓ مواكبة الجزائر التطور العلمي الذي يشهده العالم لاسيما الأوروبي.  
والجدير بالذكر أن التعليم انتشر في الريف والمدينة على حد سواء فكان رسميا ومن مهام الدولة واشرافها وتوجيهها، بتعيين المؤهلين للتدريس وتخصيص لهم رواتب، مما نشط الحركة التعليمية وانتشرت في متخلف المقاطعات التابعة للأمير عبد القادر وأقبل الناس على تعليم أولادهم فكثرت النفع وعمت الفائدة.(حرب، ج2، 2005، ص70)

ومن البديهي أن يجرى للطلبة امتحانات لمعرفة مستواهم وفرز المجتهدين من المتهاونين، اذ تجرى في أوقات معلومة ومحددة، وتمنح للمتفوقين كما قلنا سابقا جوائز ومنح خاصة تشجعيهم لهم لمتابعة تحصيلهم العلمي، ( تشرشل، ص2000) ولتشجيع كل الفئات الاجتماعية على التحصيل العلمي حرص الأمير على مجانية التعليم ووضعها في متناول الجميع، كما وفر الوجبة الغذائية المدرسية مجانا أيضا.(بن داود، 2014، ص274)

#### 3.4. تنظيم الهياكل التعليمية:

تيقن الأمير عبد القادر أن التربية والتعليم أحد أهم الركائز الأساسية لبناء أي دولة قوية، فلم تمنعه ظروف الحرب المستمرة مع الاستعمار الفرنسي من

دور الأمير عبد القادر في بناء الدولة الجزائرية الحديثة. . الجانب القضائي

#### والتعليمي. نموذجاً:

الاهتمام بمجال التعليم، فكان التعليم يتم بالطريقة التقليدية في كل قرية بواسطة خيمة تسمى الشريعة، تستقبل الاطفال منذ سن الأربع، يلحق فيها مبادئ القراءة والكتابة ويحفظ القرآن الكريم، تحت إشراف معلم يعرف بـ "المؤدب"، ثم يلحق دروس في النحو والصرف والتفسير، وبعد إجازته يسمح له بتولي مهمة علمية أو إدارية، أو يسمح له بمواصلة تعليمه ليتوسع في معارف أخرى. ( بن داود، 2014، ص274)

وكانت الزوايا سندا لنظام الأمير عبد القادر ومركزا للتربية والتعليم، بل كانت العمود الفقري لنظام التعليم في دولته، فزودها الأمير بالمعلمين ويمدها بالمساعدات المالية والمواد الغذائية، وقد ساندت هذه الزوايا الحركة التعليمية ممثلة مركز اشعاع ديني وتعليمي ومنبرا داعيا للجهاد المقدس، وعلى هذا الأساس كانت تنصب الخيام في معسكرات الأمير عبد القادر حيث يتم بها حلقات للدراسة والبحث والاطلاع على يد أغلب أطراف أفراد الجيش النظامي، وخلال فترة الهدنة ما بين سنوات 1837 و 1839م بقيت مناهج التعليم وموارده على حالها وأصبحت مهمة التدريس على عاتق فقهاء القبائل والزوايا في مراحلها الابتدائية والثانوية والعالية). (سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر، ص141)

أما فيما يخص أطوار التعليم الثالث فهي كالآتي:

#### • الطور الابتدائي:

يتم في كل القرى، يستغرق أربع سنوات، يتم في خيمة تعرف بـ " الشريعة" يتعلم خلالها المتعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، ويشرف عليها معلم يعرف بـ " المؤدب" يختاره سكانها، وينال حوالي فرنكين لليوم كأجر (حرب، ج2، 2005، ص70)، وأدت الزوايا دورا بارزا في هذه المرحلة، فعمل الأمير على دعمها بمختلف الوسائل.( بن داود، 2014، ص374)

• **الطور الثانوي:**

يتم على مستوى الجامع أو مدرسة ملحقة بالأوقاف، ويكون مجانا، ويشرف عليها مدرس، أما دروسه فتشمل النحو والصرف وتفسير القرآن الكريم، وفي النهاية ينال الطالب اجازة غير مكتوبة من عند المدرس، ويستطيع بها القراءة في الجامع ويتولى وظيفة مؤدب أو كاتب.(سعد الله، 1982، ص163)

• **الطور العالي:**

ليس هناك فصل بين التعليم الثانوي والعالي، ويقوم بمهمة التدريس خلالها العلماء ويتقاضون أجورهم من الأوقاف وتتمثل دروسهم في الفقه والحديث والحساب والفلك والتاريخ، وتتم على مستوى الزوايا والجوامع الكبرى، كالجامع الكبير في تلمسان وجامع سيدي العربي والزاوية القادرية(سعد الله، 1982، ص165).

**4.4. جمع الكتب والحفاظ عليها:**

ولع الأمير عبد القادر بالمطالعة وجمع الكتب واقتنائها ولاسيما الكتب الدينية، فكان أن احتوت خيمته على مجموعة نادرة وقيمة من الكتب والمخطوطة، وهو ما اعترف به المستشرق أدريان بيربروجر أثناء زيارته للأمير في برج حمزة: "متكئا على بعض الوسائد وعلى يساره حوالي ثلاثين مجلدا من الكتب"(بن داود، 2014، 279)، وأكد ذلك ليون روش في وصفه لخيمة الأمير باحتوائها على كتب قيمة ووسائل مهمة يضعها على يمينه (Roche, 1904, p78).

وسعيا للتوفير المصادر للباحثين أسس الأمير عبد القادر مكتبة في تاقدمت، ولأثرائها بمختلف المصادر والمخطوطات عهد لأطارات الدولة وأعوانها والجنود مهمة جمع الكتب من مختلف أرجاء البلاد واحضارها الى الإدارة المركزية ووضعها في المكتبة أو ديوان الأمير عبد القادر.(بن داود، 2014، ص274)

دور الأمير عبد القادر في بناء الدولة الجزائرية الحديثة. . الجانب القضائي

#### والتعليمي. نموذجاً:

والجدير بالذكر أن الأمير أبدى غبطة وفرحة شديدة لما أهدها بير بروجر أحد الكتب الدينية التفسيرية قائلاً: "فقدمت إليه (أي الأمير) هدية من أول لقاء معه، وهي نسخة عربية خطية وجميلة جداً من كتاب "دلائل الخيرات" كانت موجودة في مدينة قسنطينة في مكتبة ابن عيسى مساعد أحمد باي، وهي تتضمن صلوات وأدعية وغيرها من مواضيع العبادة" (بير بروجر، 2005، ص 105).

هذا وحرص بنفسه على جمع وصيانة الكتب والمخطوطات، فحث أفراد جيشه على احضار كل ما يعثرون عليه من كتب أثناء الحروب، وقدم ترقيات ومكافآت مالية لكل من يعثر على وثيقة أو كتاب (حرب، ج 2، 2005، ص 71)، بل أرسل كتاباً إلى قونية بالأناضول لنسخ مؤلفات ابن العربي، فكان الأمير يصرح دائماً: "أنا مسؤول عن الكتب" (ايتين، 1997، ص 167).

حيث كان يعطي أوامر دقيقة من أجل صيانة الكتب، وأمر بعقوبات قاسية وصارمة لكل من يحاول اتلافها أو تمزيقها، حيث كان يقدر جيداً الوقت والجهد اللازم لإعادة نسخها، فالحفاظ عليها أفضل من بذل المجهود الذي يجب توجيهه لمساعي جديدة وعلوم جديدة. (ايتين، 1997، ص 167)

فالأمير عبد القادر أراد أن يجعل الزمالة مركزاً علمياً بإنشاء مكتبة بها، حيث بلغ عدد كتبه المخصصة لها بحوالي 5000 مخطوط مجلدة تجليداً فاخراً، إضافة لما أحضره من كتب في رحلته إلى المشرق، لكن الدوق "دومال" استولى على كنوز الدولة الموجودة في الزمالة عند احتلالها بما فيها المكتبة، التي نهبت وبعثرت كتبها ومخطوطاتها وأتلف قسم منها (بن داود، 2014، ص 280)

تحصر الأمير عبد القادر على المكتبة قائلاً: "فإن والله لم يشأ ذلك، فالكتب التي أحضرتها من كل أجزاء الشرق لهذه المكتبة أخذت مني، عندما استولى ابن الملك على زمالتي"، وتألمه وحصرته هذه تعكس شغفه بالعلم من

جهة ومن جهة أخرى دليل على وعيه بأهمية العلم في بناء دولة قوية تامة  
المعالم (بن داود، 2014، ص280)

#### 5.4. بناء المدارس:

أسس الأمير عبد القادر مدارس في مختلف ربوع دولته، وأوكل مهمة  
التدريس فيها الى العلماء وحدد لهم مكافئات ورواتب وأعافهم من الضرائب،  
وكان التعليم في هذه المدارس يقوم أساسا على تحصيل العلوم الدينية واللغة  
العربية باعتبارها لة القرآن وذلك على حساب العلوم الحديثة، وفي هذا الشأن  
يقول الأمير عبد القادر: " كان من واجبي كحاكم مسلم أن أؤيد وأبعث العلوم  
والدين، لذلك فتحت المدارس في المدن وبين القبائل، وفي هذه المدارس كان  
الأطفال يتعلمون الصلوات ويحفظون تعاليم القرآن وفروضه ويعرفون جيدا  
القراءة والكتابة والحساب" (تشرشل، 2009، ص200).

ويذكر ايميريت مرسيل أنه يوجد في تلمسان وحدها خمسين(50) مدرسة  
ابتدائية ومعهدين كبيرين للتعليم الثانوي والعالى وهما مدرسة" الجامع الأعظم"  
ومدرسة" أولاد الإمام" (بوعزيز، ص141)، وكان الأمير عبد القادر يفكر في بناء  
جامعة في تاقدمت غير أن الوقت لم يساعده لتحقيق ذلك، وقد شهد له  
فالازه (Valaza) على صحة كلامه حيث صرح في تقرير لجنة الافريقية قائلا: "  
كان العرب كلهم يعرفون القراءة والكتابة، وكان في كل قرية مدرستان" (ايتين،  
1997، ص166).

## 5. خاتمة:

نلخص في دراستنا هذه إلى مجموعة من النقاط أهمها:

- ✓ أرسى الأمير عبد القادر قواعد دولة جزائرية معاصرة بكل المعايير، استطاعت التصدي للاستعمار الفرنسي مدة طويلة.
- ✓ حرص الأمير على نشر العدل بين الجميع على مذهب الإمام مالك، سائاً على خطى السلف الصالح.
- ✓ الكفاءة والنجاح في الاختبارات الفقهية والأخلاق الحسنة أساس اختيار القاضي.
- ✓ سعى الأمير وخلفائه على فصل السلطة القضائية عن باقي السلطات حرصاً على المساواة بين الجميع في القضاء.
- ✓ لم يتهاون الأمير في تطبيق العدالة على المقربين منه، ولم يتوانى عن منح الحق لأعدائه.
- ✓ أتت السياسة القضائية للأمير أكلها فساد الأمن والهدوء وسارت النساء في الشوارع في أمان.
- ✓ أولى الأمير للتربية والتعليم اهتمام منقطع النظير، اهتمام ينم عن تكوينه الصحيح من جهة ومن جهة أخرى عن تيقنه التام بأهمية الوعي في مواجهة الإستعمار وبناء دولة متطورة.
- ✓ اهتم الأمير بالعلوم الدينية والعقلية على حد سواء، اذا كانت العلوم العقلية كالأغذية فإن العلوم الشرعية كالأدوية.
- ✓ أدى الأمير عبد القادر دوراً بارزاً نتيجة شغفه بالعلم وتشجيعه الى جمع مجموعة قيمة ونادرة من المخطوطات والكتب الدينية.

## 06. قائمة المصادر والمراجع:

### • باللغة العربية:

01. ايتين (برونو): عبد القادر الجزائري، تر: ميشيل خوري، ط، دار عطية للنشر، لبنان، 1997.

02. بساعد (عائشة): البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005.

03. بن داود (أحمد): المقاومة الثقافية للأمير عبد القادر الجزائري من خلال التعليم، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، م2، ع3، جانفي 2014، الجزائر.

04. بوعزيز (يحي): الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، د ط، الدار العربية للكتاب، الشركة الوكنية للنشر والتوزيع، تونس، 1983.

05. بيربروجر (أديان): مع الأمير عبد القادر، رحلة وفد فرنسي لمقابلة الأمير في البويرة (1837. 1838)، تر: أبو القاسم سعد الله، د ط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2005.

06. تشرشل (شارلز هنري): حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، ط خ، دار الرائد، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

07. الجزائري (محمد بن عبد القادر): تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، المطبعة التجارية، الاسكندرية، 1903.

08. حرب (أديب): التاريخ العسكري والاداري للأمير عبد القادر الجزائري 1847-1808م، ج1، ط3، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2005.



09. أديب حرب: التاريخ العسكري والاداري للأمير عبد القادر الجزائري 1808-1847م، ج2، ط3، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2005.
10. جعيد (محمد)، فرنانة (كريم): دولة الأمير عبد القادر والثورة الجزائرية، مجلة أفاق للعلوم، ع05، 2016، الجزائر.
11. دوحه (عبد القادر): طبيعة النظام السياسي للدولة الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر، مجلة الحوار المتوسطي، م10، ع2، جوان 2019،
- محمد، ناصر الدين سعيدوني: النظام الضريبي لدولة الأمير عبد القادر، مجلة الثقافة، ع78، 1983.
12. سعد الله (أبو القاسم): محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
13. سعيدوني (ناصر الدين): النظام الضريبي لدولة الأمير عبد القادر، مجلة الثقافة، ع78، 1983.
14. سعيدوني (ناصر الدين): عصر الأمير عبد القادر الجزائري، دط، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2001.
15. سعيدوني (ناصر الدين): عصر الأمير عبد القادر الجزائري، دط، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2001.
16. فرنانة (كريم): دولة الأمير عبد القادر والثورة الجزائرية، مجلة أفاق للعلوم، ع05، 2016، الجزائر.

• بالأجنبية:

-Léon Roche : **dix ans à travers l'islame 1834-1844**, nouvelle édition, Porrin et Cie libraires éditeurs, Paris, 1904